الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

**محمد سيد حاج**

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 49

# منزلة الرضا (الجزء الرابع)

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه اجمعين، درسنا اليوم من كتاب السالكين النقاط التي سوف نخصها بالذكر ونسلط عليها الاضواء هي بالغة في الاهمية ولا سيما في قضايا العبودية والقضايا التي ترتبط بالقلب وتعريفه بربه، واعتبر ان ابن القيم رحمه الله قد بذل جهدا مقدرا في حديث عن الاسباب الموجبة لرضا العبد عن ربه، اقدارا وشرعا، المؤمن هو الذي يرضى بشرع الله ويسلم له، وان خالف هذا الشرع مراده وهواه وشهوته ومصالحه ومنافعه، بل هذا هو محك الايمان، ان يريد الله وان تريد نفسك، وعندها انت كما قال ابن القيم تذبح النفس، وتطأ عليها، وتمرر مراد الله الشرعي الذي اراده منك، والا فان الايمان ضعيف، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ وذكر المشاجرة لانها ادنى انواع الخصومة، دي بتكون حاجة تانية غير المشاجرة، كويس؟ اديت البنية؟ دي بقى حاجة تانية، وكان مشيت البوليس كمان دي مشكلة كبيرة، ادنى انواع الخصومات بين البشر فيما شجر بينهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ وكلمة يحكموك انهم بحثوا عن مراد الله يعني بيعمل حاجة ده ما حكم.

الله قال شنو يا اخوانا؟ ده حكم، يعني جاء يسعى ويطلب مراد الله، وهذا همه رضا الله، ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ لانه بعد ان يحكم اما ان يأتي الحكم موافقا لما يريد هو واما ان يكون مخالفا، قال ابن القيم وطلبوا الموافقة دائما مع مراد النفس لا تحقق عبودية الله ولكنها تحقق عبودية النفس، يعني انت بتعبد نفسك ما بتعبد الله عز وجل، والا تستبين العبودية ويتجلى

الايمان عندما ترضى بمراد الله اذا خالف ما تريده انت من مراد او ما تنطوي عليه من امنية انت بتكون قلت يا اخي ورونا حلال ولا حرام حرام، انت بتقول خلاص ما في مشكلة، لكنه لم يتكلم عن ترك الجوارح، او فعل الجوارح، انما يتكلم عن عمل القلب، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ والحرج هو درب من دروب المشقة والتعب، في انفسهم مما قضيت وفوق هذا ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وهذا الرضا، كله من الله كويس، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يقول لولا ان فيه مصلحة لما قضاه الله هكذا، ويدافع عنه، الان يقول الناس ان قطع اليد جناية.

على الايدي العاملة وتقليل للانتاج، والصواب ان في قطع اليد محافظة على اليد، فلو قطعت يد سارق واحد لن تحصل سرقة، وبالتالي من كانت نفسه تسول له ان يسرق وترك السرقة حافظنا على يده، اما ما الذي يحصل ان لم نقيم حد سرقة قطع؟ اعطيك مثال في عشر سنوات اذا قطعت يد واحدة بعد ذلك ببركة اقامة هذا الحد واثره، لحد من حدود الله يعمل به في الارض خير للناس من مطر اربعين صباحا، قطع اليد وبركة العقوبة، ومعرفة الناس لحقيقتها وعدم مجازفة الانسان بيده في العشر سنوات تأكد انها ستقطع يد واحدة، اذا لم تقطع الايدي في العشر سنوات سوف يقتل مئات الناس اما السارق نفسه بيموت او ربما من تجرأ على سرقتهم وبالتالي السرقة في حقيقتها تفضي الى القتل، وكانت الشريعة ارحم، لانه شخص امن في بيته، عنده مسدس، دخل عليه وحرامي حيعمل شنو؟ حتى لو كان علمانيا لو تقول له تقطع يده يقول لك لا دي قسوة، عشان سرقوا منه هو قتله، الله حكم عليه بقطع اليد وهو حكم عليه بالقتل، ايهما ارحم؟

من الاول كان يقطع والله اسمع كلامي اقسم بالله الناس يكونوا امنين لكن المشكلة ان الناس بيتفلسفوا انت عارف جرائم القتل في اربعين سنة وقعت في الولايات المتحدة اكثر من الف وستمية حالة قتل، وفي اربعين سنة في المملكة العربية السعودية قطعت يدان فقط، ما في، كله زول خايف على يده، بيعمل حسابه؟ يا ناس الشريعة محكمة، لانها شريعة رب العالمين، بل انا ارى ان حد السرقة الذي يقضي بقطع الايدي انما جاء للمحافظة على الايدي، ده يقين اخواننا العلمانية مجرمين جدا، يعترضوا حدود الله لكنه بينظر الى الجاني ولا ينظر الى المجني عليه، ده غير المال يا اخوانا المال ده ما عنده قيمة؟ الرضا الكامل، باحكام الشارع، وبمراد الله الدين، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ تسليما كاملا، ثم قلنا قد ناقشنا بعض الاسباب الموجبة للرضا عن الله شرعا وقدرا، ترضى عن الله شرعا الا تعارض شريعته، لا بذوق ولا بمعقول ولا بفلسفة اذا كان الامر من عند الله فليس لك الا ان تسلم، ان تسلم لشرعه وانا اعتقد عقيدة جازمة ان العلمانيون وكل من ينتهج نهجا علمانيا لا يسلم لله ولا لشرعته بل هو يعترض عليها ويرى ان فيها نواقص يريد ان يتمها.

وهذا عين الكفر والضلال، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ايضا باقداره واقضيته، ان الله عز وجل جعل اقداره مكتنفة بضرب من دروب الغيب سبحان الله والانسان جاهل بالعواقب، لذلك يقول ابن القيم يرضى العبد باقدار الله واقضيته اذا كان مفوضا لله في امره، واذا فوضت لا تراجع يعني انا بقول له زول محترم مسؤول كبير يا اخي فوضتك امشي شوف لي موضعي ده قال لي عملنا لك كده كده اقول له لا التفيض معناه ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ثانيا لانه جاز بان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، اذا كانت هذه عقيدتك وهذه هل انت مستيقظ؟ ما شاء الله كان وما لم يسع شنو؟ لم يكن، لماذا الضجر؟ لماذا؟ السخط، اذا ايقنت وجزمت انت لاقدار الله واقضيته، ثالثا لانك عبد محض، والعبودية المحضة تقتضي عدم المنازعة والمشاكسة مع السيد، ولكن كن مع الله كالميت بين يدي غاسله، لان هذا علامة العبودية المحضة، فلو جعلتها لبشر يعني انك عبدته عبودية رابعا انت محب لله، والمحب يرضى بما يعامله به حبيبه، قضى عليك كده.

قالوا اصابتك مصيبة قال ولدك مات تعرف شنو؟ الذي قضى عليك بموت ولدك وان كان ابن القيم يقول فقد الولد من اكبر عوارض الرضا صعب جدا الزول يرضى لذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا نقول الا ما يرضي الله في موت ابراهيم ولده ولذلك المحبة الصادقة تقتضي التسليم الكامل لمن؟ لمن تحبه، بل انت ترى ان علقمه شهدا، وان نمره عسلا، صح؟ بمراده المنقاد، ولسلطانه خاضع، ولاحكامه مسلم، وبقضائه راضي، والا فما معنى المحبة؟ السبب الخامس الموجب لقضاء الله وبالمناسبة الاسباب الموجبة للرضا باقدار الله واقضيته فوق الستين، ان شاء الله واحتمال معانا نحول لدرس شنو؟ لدرس اخر طيب فاقول هنا السبب الخامس ان العبد جاهل بعواقب الام وبالتالي سيده اعلم بمصلحته منه، صح ولا ما صح؟ يقول اختيار الله لي افضل من اختياري لنفسي اختيار الله للعبد افضل من اختيار العبد لنفسه، اتأكد ان ده احسن لك، افضل لك في الدين والدنيا، من حيث لا تعلم، طيب، سادسا ان العبد لا يريد مصلحة نفسه من كل وجه، وخاصة وقد قال الله فيه ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ والظلوم ظلوم لنفسه، تقول ده احسن حاجة.

انا ذاتي غير ذا ما داير، يصير عليك وبالى ممكن ولا ما ممكن؟ بل يمكن ان يكون سببا من اسباب هلاكك ودمارك بل ودخولك النار فيه، انت تعرف انه اختيارك دا ما في كل مرة بيمشي معاك كويس عشان كدا ربنا قال شنو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ انت لا تعلم ما في حوايا المستقبل، انت لا تعلم ما في ثنايا الغيب، ولكن ربك يعلم، ولذلك قد يصرف عنك شيء في علمه انه يضرك وانت تراه في ظاهره انه مصلحة لك او

العكس، ولذلك ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ السابع ان العبد المؤمن مسلم ومسلم نفسه لله، وهذا يعني ان لا يتسخط وان يجري مع اقدار الله واقضيته، الثامن المؤمن يرضى بقضاء الله عليه لانه عارف بالله وبالتالي هو يحسن الظن بالله، واحسان الظن بالله يقتضي ان حالات عنده جميعا مستوية، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ كله عند واحد.

نحن بنفرح وبعض الناس يفرح فرحا فيه معصية، يشكر الله ولا يعصي الله؟ دي حفلة، بيقول لك العرس مرة واحدة في العمر، كويس؟ مرة واحدة في العمر يقول لك خلينا نتمتع وخلنا نفرح، كويس؟ والله العظيم يقول لك خلينا نفرح، وبعدين يقول لك اصحابه وما هو ما داري عليه حفلة لكن اصحابه عملوا له حفلة، ده كله كلام عشان اقول لك باطل شفته كيف يستوي عنده المنع والعطاء، والرضا بالمناسبة، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ كل من ربنا وكل الاختبار اعطاك المال وقت منعك لتعلم انه يريد ان يمتحنك وان يعلي من قدرك، التاسع انه يعلم ان حظه من المقدور ما يتلقاه به من رضا وسخط، فلابد له منه يعني المقدور دي نقطة والله مهمة جدا، الكلام ده باختصار، اذا اجرى الله عليك قضاء ليس لك ان تغير فيه؟ انت حظك اما ترضى واما تسخط، ان رضيت رضي الله عنك، وان سخطت لم تغير في قدر الله شيئا وسخط عليك، معناها وطن عند وقوع الاقدار المختلفة بغيرها وشرها وطن نفسك على الرضا دائما، فانك لا تقدر على تغيير ما احدث الله.

الولد مات لا تحيه ولا كيف يعني؟ ها؟ بنقول ما يدفنه تمسك عشان نعفن في البيت ولا كيف خلي الاقدار تجري وارضى وانت سخطت وفقدت الولد مثال لانه ابن القيم من اصعب انواع الاقضياء نسأل الله ان الله يبتلينا ونسأل الله المعافاة الدائمة في الدين والدنيا، نسأل الله يعافينا، لكن اسوأ انواع الامور على النفس النفس تتعلق بالولد جدا، هذا من طبعها بالتالي لو قلت لك كده اعتبر ولدك انت يعني الموضوع بيتضايق منه خلي انه يحصل حقيقة نسأل الله انه يسلم اولادنا واولادكم ويجعلهم لنا ولكم قرة عين ومن الصالحين العاملين للدين طيب سنوريك ان الموضوع ده خطأ كان واحد يحصل على الحقيقة، العاشر ودي نقطة مهمة جدا، اذا رضي العبد انقلبت النقمة في حق نعمة والمحنة في حقه منحة، يعني هترضى؟ اول شيء سوف يحصل لك برد القلب، وطمأنينة وسكون النفس وانشراح الصدر، وسوف تجد للرضا متعة ولذة وراحة وروحا في قلبك بالرغم من الم المصيبة وشدة الفاجعة وقوعها عليك هذا غير ما يدخره لك في الاخرة، من النعيم المقيم والسعادة الابدية، هذا غير ما يمكن ان يعوضك بدلا منه في الدنيا.

﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وان كان في المال عسى الله عز وجل يريد ان يحولك الى جهة اخرى اكثر ما لا لو انه اريد ان تتحول اليها لما تحولت اليها، لو انه قدمت لك مئات الدراسات للجدوى للاستثمار في هذا المجال لن تستثمر فيأتيك الله بافة في مجالك الذي تتعلق به ليفك الارتباط بينك وبينه لتتحول الى مجال اخر فيفتح الله عليك فيه اضعاف ما قلت فيه من النعيم والراحة، حاجة غريبة، والله يا اخوانا شيء عجيب فيه عنده اولاد، قام عنده طالب في الجامعة غرق في الباخرة بتاعة عشر رمضان ديك ولا كم رمضان كدا؟ كانت متجهة الى مصر من السودان غرق مشهورة جدا الحادثة الولد ده غرق طالب جامعي كويس هي موحدة الحمد لله قالت لي والاصل ما في شيء يعني اعترض على الله وبعدين عند الطب قطعت، توقفت الدورة بتاعته، حملت وجابت ولد وسمته عوض الكريم، الولد ده الان اتخرج من الجامعة السنة دي، يا اخواننا لما تجيك حادثة ما بتتخيل ايه اللي هيحصل لك كده وكده وكده الله بيديك وده من سوء الظن بالله، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ اذا صبرت لله ما قالت الله بيدي له ولا تعوضني.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ولذلك اقول المؤمن امره كله خير، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له، وان اصابته ضراء صبرا ف كان خيرا له، ولذلك تنقلب النقمة بالرضا نعمة، والمحنة بالرضا منحة، تصير منحة وعطاء من الله عز وجل، ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الحادي عشر، ان يعلم ان تمام العبودية ان يرضى لله فيما يكره هو، والا لو انه كان راضيا في كل ما اعطاه الله من محبوبات النفس لما ظهرت عبوديات الصبر، والذل والخضوع انكسار والافتقار والتوكل والتضرع كل هذه العبوديات تولدت من مقامات تكرهها النفس بل تجده يصيبه من المكروه فتحدث في نفسه انكسارا ترجعه الى الله بل قد تجد عاصيا وطاغيا تقع به مصائب تكون له بمثابة صدمة من غفلة الى ربه وتعيده الى مولاه، وتحقق له التوبة، كثير من الناس تابوا الحرام واي حاجة، دي صدمة، مصيبة وقعت عليهم، وذلك عشان كده قال القضاء الملائم للطبيعة كل النفوس ترضاه، الملائم الطبيعة ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ده ملائم للطبيعة، كونه ما يلقى هذا منافق للطبيعة قال ابن القيم والعبودية ان ترضى مع القضاء الملائم للطبيعة وان ترضى مع القضاء المنافي للطبيعة.

طيب يعني والله يا اخوانا لو ما كان في حاجات حارة ضد النفس لما ترقى الناس في مقامات الصابرين صح ولا ما صح؟ كيف صار الصابر صابرا؟ اعطي بصبره الاجزل قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لذلك من اعجب ما قرأت عن السلف انهم كانوا يقولون في المصائب فوائد ولعل القائل هو العز ابن عبد السلام قال ومن فوائد المصائب ظهور عز الربوبية وقهرها، وبيان ذل العبودية وكسرها، ﴿وَهُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ يجري عليهم الاقدار والاقضيته، يمتحنهم ويختبرهم، بعضهم يكون في مقامات وبعضهم يكون في مقامات اقل، ولذلك ظهور عز الربوبية وقهر وبيان ذل العبودية وكسرها، الربوبية في مقابل العبودية، والقهر في مقابل الكسر، الثاني عشر يقول من رضي بقليل الله وقليل الله كثير رضي الله من العبد بالقليل، وقدير العبد قليل، صح ولا ما صح؟ انت كان الله اداك اي حاجة قلت الحمد لله كويس؟ كان لقيت اي حاجة يقول الحمد لله، قال عملت اي عبادة بسيطة الله يقبلها منك، لماذا؟

لان الله عدل، كما انت قبلت منه القليل، وبالرغم من ان قليل الله؟ لا يقال له قليل فان الله يرضى منك بالقليل، طيب الثالث عشر يقول الرضا يا اخوان والله دي حقيقة، الرضا فيه راحة ونعيم وسرور، بيكون متضايق، قدر ما يتذكر الحادثة دي، يتغير، زوال ذلك بالرضا لان الرضا فيه راحة وسرور، عشان كذا قال الرضا باب الله الاعظم، ابن القيم يقول الرضا شنو؟ باب الله شنو؟ الاعظم، مستراح العارفين، وجنة الدنيا للمتقين، لذلك يعني الرضا يخلصك من القلق، يخلصك من الحزن، يفتح الرضا لك باب الجنة الدنيا قبل جنة الاخرة، الرابع عشر السخط باب الهم والغم والحزن وشتات الفكر عرفت؟ وسوء الحال الخامس عشر الرضا يوجب الطمأنينة وبرد القلب وسكونه والسخط يوجب اضطراب القلب وقلقه، السادس عشر الرضا ينزل السكينة، يقول ابن القيم بعبارة لطيفة اذا ترحلت الرضا عنه ترحلت عنه السكينة والسرور ولذلك الرضا يولد الطمأنينة السابع عشر الرضا باب السلامة، انت بتسلم في دينك، كويس؟

وتأتي الله بقلب سليم، وبالعكس السخط باب الغش والخبث، عشان كذا قال السخط قرين الغش والخبث، دائما يكون نفسه خبيثة بالمناسبة قاعدة اي انسان يسخط على اقدار الله تجده خبيث حاسد، للناس حق الاخرين التي يجريها الله عز وجل عليهم تجده يحسدهم عليها، طيب يقول السخط يوجب تلون العبد وعدم ثباته مع الله، يا اخواننا شوفوا اهم قاعدة تربوية وارجو ان يستفيد منها الشباب قبل الشيب، والصغار قبل شنو؟ الكبر، لا توطن نفسك في حياتك على وتيرة واحدة، بمعنى مثال عندك عربية ما تركب عربية طوالي مرة اركب المواصلات مع الناس وشوف معاناة الناس بتستفيد اول حاجة بتقدر تحمد الله على نعمة الركوب يشوف الناس تعبانين كيف والكمسري يطقطق ويقول لك كده والناس مضايقين لك انت بتقول والله يا اخوانا فعلا احنا ما شاكرين طوالي وتشكر ما توطي نفسك واحد، اتنين هذا يعني، عدم نزولك من سيارتك او عربيتك، كويس؟

او دابتك، يعني انك تعتقد انك ستكون على هذه الحالة دوما؟ اليس هنالك للايام وتداول في السنين فكيف بك اذا عدمت وصرت فقيرا؟ رجوعك الى المشي بالاقدام وركوب المواصلات العامة شق عليك مشقة شديدة، انا اقول في هذه الجزئية قاعدة لا توطن نفسك في حياتك على نمط واحد، من ظن ان حياته ستسير على وتيرة واحدة حتى يموت ظالم وغاش لنفسه، انت لو قايل ان الموضوع يطول حتكون مرتاح وراكب عربيتك، وساكن في عمارة واي اكل دايره بيجيك كده معناه انت قصة تقلبات عشان بعدين لما تحصل تقلبات لا تسخط سخطا شديدا ولا يفضي بك هذا الى الكفر وربما الخروج من الملة وطن نفسك على انماط مختلفة من العيش حتى تثبت قدمك في مقام العبودية، التاسع عشر السخط يفتح باب الشق في الله وقضائه وقدره، من شك في قضاء الله شك في الله، عشان كده ابن القيم عنده كلام لطيف موجز يقول الرضا واليقين اخوان مصطحبان، والسخط والشك قرينان لا يفترقان، يا اخوانا واضح؟ السخط وشق الايمان، والرضا واليقين شنو؟ اخوان، والله.


**للاستماع إلى المادة وتنزيلها**

mohamedsayed.com/halqa/49/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

**تابع الحسابات الرسمية للشيخ**

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com